

العرب بأميركة

منذ قرنين قبل كلومبس

نشرنا في العدد السابق مقالا في هذا الموضوع للسيد مصطفى ابراهيم، وبهاته المناسبة بعث الينا الاديب الفاضل السيد ادريس الحريشي يبحث للسيد أحمد توفيق المدني كان نشره سنة ١٣٤٨ في مسألة تناولها بعض العلماء من غير أن يتوصلوا في شأنها الى حل مرضي حتى الآن وهي مسألة «اكتشاف القرطاجنيين لاميركة حوالي سنة ١٢٥ قبل المسيح»، والى القراء ما كتبه السيد توفيق المدني في هذا الصدد باختصار:

كانت المدنيات قديماً حول البحر المتوسط ثلاثة تقسم الحوض الشرقي من ذلك البحر أولها مدينة الاغريق في الشمال مدينة الفلسفة والحكمة والفن الجميل، وثانيها مدينة مصر في الجنوب، مدينة الابهة والعظمة والعلوم، وثالثها مدينة العرب الفنيقيين في الشرق مدينة الصناعة والعمل والمغامرة والاستعمار.

والفنيقيون من ابناء قبائل كنعان أصلهم من شمال جزيرة العرب الشرقي على ساحل خليج فارس ومنها هاجروا الى سوريا، وهم أول من أنشأ السفن وشقوا عباب البحر مغامرين.

وفي سنة ١٠٠٠ قبل المسيح أمّ جماعة منهم جهات المغرب واختلطوا بالبربر ابناء البلاد وأنشأوا مستعمرات على السواحل واستمر اختلاط البربر مع العرب الفنيقيين مدة ستمائة عام قبل تأسيس الدولة القرطاجنية وبهذا دخلت اللغة العربية الى بلاد شمال أفريقية ابتداء من سنة الف قبل المسيح، وكلامهم كان شديد الشبه بالعربية العامية المستعملة خصوصاً بنواحي العاصمة التونسية، وبجزيرة مالطة قبل أن تختلط اختلاطاً فاحشاً. يختلف اللغات الاوربية، ونشأت قرطاجنة وازدهرت وكان لسانها الرسمي هو اللسان الكنعاني العربي كما دلت عليه حفريات وقم العثور عليها ولم يكن القرطاجنيون بعد أن خرب وطنهم الاصلي فنيقيا يقتنعون بالملكات التي لديهم فأسسوا جمهوريتهم الوطنية في الارض الافريقية ثم أرسلوا بحارهم بحجوب مختلف النواحي ليكتشفوا البلاد وليؤسسوا المدن الساحلية وهكذا وصلت سفنهم

الشهيرة بصفافس هو أنهم عرفوا استعمال عقدة المغارسة فانتفعوا من جهود الاهالي وتجاربهم وكونوا غابة صفافس التي تعتبر أهم وأخصب ما أنتجته المشاركة في العمل بين الفرنسيين والتونسيين في ميدان الفلاحة، وتربية الغنم بجنوب القطر الجزائري كلها مبنية على عقد شركات بين رعاة الصحراء وفلاح النجاد، واستعمال هاته العقد يسر لكثير من العمرين الفرنسيين امتلاك العدد العديد من الغنم وساعدهم على توسيع دائرة حركتهم الاقتصادية.

ان هؤلاء الفرنسيين لم يحطوا من قدرهم بالتعاقد تحت حكم الفقه الاسلامي وإنما استعملوا طرقاً غذتها قوة التجربة والبقاء، وأدتهم حكمتهم الى الالتحاق ببعض نظم البلاد التي استوطنوها وكان لهم في ذلك ربح وفائدة.

هذا ومن المعلوم أنه توجد نظم محلية لا توافق مجال طبيعة العصر الداخل الذي يتجنب منها انقياداً لنفسيته وهي في الغالب النظم المتعلقة بالحالة الشخصية والارث فاذا لم تكن لها في نظره قيمة تقليد فأمر مسلم لأن عقلية الجنس فيها أكثر أثراً من طبيعة ظروف المكان.

يتبين مما تقدم أن للفرنسيين منافع في استعمال بعض النظم التي وضعها الفقه الاسلامي ولاستعمالها في مواضعها يتعين عليهم أن يعرفوا أحكامها وهذا مما يؤكد وجه المنفعة من الابحاث المتعلقة بالفقه المتحدث عنه.

ونزيد كلمة، وهي أن الاحكام - كالعوائد والآداب والفنون - لها حظ في تكوين أخلاق الامة، وعليه فلا يمكننا الاستغناء عن درس ما يتعلق منها بمسلي أفريقية الشمالية الذين هم تحت حمايتنا إذا أردنا أن نؤسس علاقتنا معهم على المعرفة لا على مطلق الاستبداد.

اوكتاف بيل

الى جزائر انكلترا شمالا والى بلاد الكامرون جنوبا .

ولقد كان تاريخ الدنيا بأسرها يتقلب ظهراً على عقب لو أن قرطاجنة استمرت على توسعها السلمي وأعمالها التجارية العظيمة ولكن ما كادت تشرق شمس القرن الثاني قبل المسيح حتى قام نزاع عنيف بينها وبين الدولة الرومانية التي انتظمت عندئذ حديثاً ببلاد ايطاليا ، وكان ما يعلم من حروب انتهت بتحطيم قرطاجنة واعدامها ، وان الانسان ليزداد ادراكاً لهول تلك المصيبة متى علم

أن القرطاجيين فتحوا في أواخر أيامهم - وحوالي سنة ١٢٥ قبل المسيح - قارة أميركة ، فقد عثر على أثر لاكتشافهم في بلاد البرازيل الدكتور لاديز لونتو ، وهذا الأثر الذي نشر في الجزء الاول من كتاب «انثرو بولوجيا» الانكليزي عبارة عن رخامة منقوشة فوق قبر تشمل خلاصة تاريخ الاكتشاف والمثال السيء الذي آل اليه البحارة المكتشفون ، وهذا نص الحفرة مع مقابله العربي العامي في شمال أفريقية ومقابله العربي الفصيح :

الجملة الفنيقية	مقابلها بالعامي العربي في شمال افريقيا	مقابلها العربي
هنا احنا بني كنعان م فرم حقرة حمل	هنا أحنا بني كنعان من فرام حملنا الحقرة	هنا نحن بني كنعان من فرام تحملنا الاحتقار
اوش حر حصل هك	موش حرام نحصلوا هكا ؟	اليس حراماً أن نحصل هكذا
لا عنا ازيد حيا قنار	ما زدادش الحيات عندنا أكثر	لا تزيد الحياة عندنا أكثر
في حيرم الناس تا بحر	في اهم الناس متاع البحر	أن ناس البحر في اهم
العلى كلوم	الحزن كلامهم	الحزن أكلهم
أو على كان تر سنا تاسعة او عشرة	والحزن كائن ترى السنا تسعة او عشرة	والحزن كائن وهذه السنة هي التاسعة أو العاشرة
الحرامي ملك هنا عبيد ولا ح لا اوم	الملك الحرامي هنا لوح عبيد ولاش ما هوش معهم	الملك الحرامي هنا رمى بعبيده لماذا ليس هو معهم
عفوا لي دبر بهم شا جا اول الشع	اعرفوا الى دبر بهم باش جا اول الشرع	اعرفوا أنه دبر بهم لكي يتوصل الى أول مناصب القضاء
عما هنا هي تا عسرة كي الحي حي ما هي حر	الحما هنا عسيرة كيف الحي يحب الماء يلقاه حار	الحما هنا عسيرة فإذا أحب الحي ماءً وجده حاراً
أو ستم سلم اش بر نار فينا	ولو كان هذا برك نصبر ولكن أش ها البر النار تشعل فينا	لو كان هذا فقط لكن ما هذا البر؟ النار تشعل فينا
حامي أو البر هنا ما غير بعل اولى أن	حامي البر هنا ما غير بعل هو الى عان	البر هنا حام وما غير بعل الذي هو أعاننا
حتى خبر اللون	حتى خبر الهون	لا يصلنا أي خبر الى هنا
راحلهم سنا م عشرة ماتم	راحلتهم السنا مع عشرة ماتوا	رحلت عنهم السنة ومعها عشرة ماتوا
كسنا ست ناس مبايح را تاسو	بقينا ستا ناس مبيوعين را نا نعو	بقينا سنة ناس مباعين نقوم بالعسة
كي مات عصبت عبد هبلت أي عليه	كيف مات عصبت العباد هبلت عليه	لما مات السبط أصاب العباد الاختبال عليه
ولمو على كانت ايا حنانة	قتل الحزن كانت موته حنانة عليه	قتله الحزن لكن موته كان حناناً أليها عليه

وبقي شيء : ما الذي يدلنا على أن القرطاجيين هم الذين قاموا بذلك الاكتشاف ولم لا يكون أهل فنيقية انفسهم هم الذين ساروا الى أميركة من سواحل وطنهم لبنان ؟ وما الذي يدلنا على أن ذلك الاكتشاف وقع حوالي سنة ١٢٥ قبل المسيح ؟ والجواب على هذين السؤالين يتعلق بدراسة الخططين الفنيقي الأصلي والفنيقي الحديث ، فالكتابة التي على الرخامة المنقوشة هي كتابة العصر الاخير من التاريخ القرطاجي ومن مقابلة الخطوط الفنيقية والقرطاجنية المختلفة يدرك أن هذه الكتابة قد كتبت قبل تحطيم

قرطاجنة بقليل بين الحرب البونيقية الثانية والحرب الاخيرة أي حوالي سنة ١٢٥ قبل المسيح .

ونفهم من كلام البحارة المنقوش فوق قبر السبط أن قصة الاكتشاف تنحصر فيما يلي :

غادر أولئك البحارة بلادهم مع « الملك » لاكتشاف أرض جديدة فلم وصلوا الى ذلك الموضع من الارض رجع ملكهم الى الوطن وترك عصبت « السبط » ناظراً ، وكانوا ينتظرون عودة الملك صعبة مدد لكن طال انتظارهم بدون جدوى ، حتى استولى

حول الترجمة والتأليف والفشر

كتاب عن الاندلس

هل يعلم القارئ أن تاريخ العرب في الاندلس لم يكتب بعد وأن المواد اللازمة لكتابة لا زالت مبعثرة في شتى الخزائن ، وأن تلك المواد اندثر منها ما هو عربي أو كاد يندثر والاسبانية منها لم تترجم للغة العربية ؟ ولا أقصد بتاريخ الاندلس ما هو متداول بين الناس من تاريخ الفتح والحروب والغزوات بل أقصد كل ذلك وأكثر منه وغيره واعني روح التاريخ وفلسفته ودرسها بتدقيق واطناب حتى تظهر بذلك حضارة العرب في الاندلس بمظهرها اللائق بها مع بيان اسباب علو كعبها وانحطاطها وذلك بصفة عامة مع مقارنتها بغيرها من الحضارات العالمية وقد سدّ بعض هذا الفراغ احد كبار المستشرقين الآن وهو الدكتور ليفي بروفانسال مدير معهد الابحاث العالية المغربية ذلك المعهد الذي شاء مؤسسه المرشال ليوطي أن يشرف على رباط الفتح كما يشرف غيره من المعاهد على عاصمة باريس من فوق قمة سانت جينيافياف وان للمستشرق

واما أن يكون ذلك الملك وبجاراته قد وجدوا قرطاجنة تحت خطر الموت فلم يفكروا الا في الدفاع الوطني حتى قضت المدينة نجبها وقضوا معها .

ولربما لم يرجعوا أصلا الى قرطاجنة بأن أغرقهم الزوابع عند الرجوع ، أو أغرقهم الاسطول الروماني .

فيأس اولئك البحارة المستعمرين وطول محنتهم واشتداد الكرب عليهم هو الذي جعلهم يسيئون الظن بملكهم ويتهمونهم ولا يقرأون حساباً لما عسى أن يكون قد اعترضه من عوائق في الرجوع .

ولما انتهى أمر قرطاجنة ، ولم يبق فيها حجر على حجر ، وبيع من بقي من اهلها بيع الرقيق ، لم يكشف احد من الباقين سر ذلك الاكتشاف للرومان ، وعلى فرض أن هؤلاء علموا به فقد كان لهم من حروبهم الفتاكة وتسلطهم على العالم القديم كله ما يشغلهم عن اكتشاف قارات جديدة .

وهكذا كانت سياسة الفتح الروماني سبباً في بقاء قارة امبركا مجهولة مدة ستة عشر قرناً أخرى .

عليهم الياس والقنوط ، ومرت عليهم نحو العشرة أعوام مات فيها أكثرهم فلم يبق منهم الا ستة أشخاص ومات ناظرهم السبط فازعجوا وذهبت عقولهم عند موته والظاهر أنه قد كان تعلقهم به شديدا واحترامهم له . بالغاً حده ، ولما استولى عليهم الياس والقنوط ولم يروا المدد ولم يرجع اليهم الملك ظنوا به سوءاً واهمموه بأنه دبر بهم مكيدة واكتشف بهم ذلك الصقع ثم تركهم لكي يتولى منصب القضاء السامي بأرض الوطن ، وسجلوا تهمتهم تلك على صفحات الحجارة ليصدر التاريخ حكمه على الملك الذي سبب لهم تلك المحنة وذلك الموت الزؤام .

فهل هذه التهمة التي يتهمون بها ملكهم صحيحة ؟ اننا لا نظنها كذلك واليك الاسباب :

الاول - ان ذلك الزعيم المكتشف الذي يسمونه ملكا لم يكن ليتذكر اكتشافه الذي يدبر عليه الخيرات الجسام لولا وقوع حادث قاهر منعه من العودة الى الارض المكتشفة .

الثاني - ان قرطاجنة نفسها التي كانت تبذل جهدها للتوسع التجاري واكتشاف البلاد الجديدة لم تكن لتترك طوعاً واختياراً ذلك الاكتشاف يضيع بدون أن نستثمره .

الثالث - أنه لا يمكن لذلك الملك أن يتوصل حقيقة لبلوغ المنصب السامي الذي يتهمة البحارة بالاحراز عليه بواسطة ذلك الاكتشاف الا اذا أكدته بحارة آخرون بواسطة أسفار أخرى ، والا فان دعوة « الملك » المكتشف تكون لا دليل لها .

وعلى فرض وصوله حقاً للمنصب السامي ، واكتفاء قرطاجنة بشهادة البحارة الذين رجعوا معه فهل لم يكن من المحتم ان بحارة آخرين او من نفس الذين رجعوا مع الملك يسيرون من جديد نحو العالم الجديد ؟

ثم من أعلم اولئك البحارة أن ملكهم قد دبر بهم لكي يصل الى ذلك المنصب ؟

فعدم رجوع أي فريق من القرطاجنيين لاميركا يدلنا على وقوع احد امور ثلاثة :

اما أن يكون القرطاجنيون قد جهزوا مراكبهم وعزموا على السفر للبلاد المكتشفة لكن الاسطول الروماني قد حطم تلك المراكب وأتلفها .